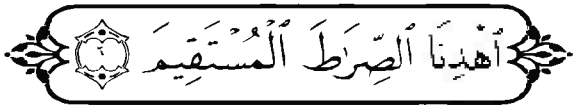

الكلام عن الهداية :

قوله تعالى : { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } جاء طلب الهداية بصيغة الجمع { اهْدِنَا } ؛ لأن القبول من الجماعة أولى وأحب عند الله تبارك وتعالى ، فعندما يكون الإنسان في جماعة ويدعو الله تبارك وتعالى بلسان الجماعة : { اهْدِنَا } فإنه أجدر وأولى بقبول هذا الدعاء إن شاء الله تبارك وتعالى.

وقد جاء في حديث النبي e : (**فإذا قرأ العبد** { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } **قال الله تبارك وتعالى : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل**) فهو دعاء مستجاب بإذن الله U ، ولكن على المسلم أن يخلص نيته لله تبارك وتعالى .

معنى الهداية : الهداية ـــ كما ذكر العلماء رحمهم الله تبارك وتعالى ـــ لها معانٍ عدَّة في القرآن العظيم ، وأول معنى من معان الهداية :

التوفيق : توفيق الله U لهذا العبد من عباده سبحانه بالهداية ، فهذا التوفيق يختص به الله U ، ولا يشاركه فيه أحد ، فهو الهادي سبحانه وتعالى: { وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا }[1] فالله تبارك وتعالى هو الذي اختص بهذه الهداية ، هداية التوفيق والاختيار .

---

(١) الفرقان: ٣١ .

وهداية التوفيق على نوعين : عامة ، وخاصة.

أما العامة : فهي هداية الخلق لما ينفعهم ، ولما يصلح شؤونهم ؛ هدايتهم لمعايشهم، وأرزاقهم، وطريقة حياتهم ، وكل ما كتبه الله تبارك وتعالى لهم ، وهذه جاءت في قوله U: { قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ۝ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ }[1] خلق ثم هدى ذلك الخلق ، وقال U { سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ }[2] فهو الذي هدى الكائنات كلها إلى ما يصلح أحوالهم في هذه الحياة الدنيا ، والمتأمل في هذا الكون يجد عجباً ، فذاك ثعبان البحر ، وثعبان الماء إذا أراد أن يتوالد وأن يتكاثر، يتجمع من أنهار الدنيا ، ومن برك الدنيا ، وبحيرات الدنيا وبحارها ، إلى منطقةٍ في جنوب برمودا ، يتجمع هناك ، ثم تضع الأمهات البيض وتموت ، ثم يفقس ذلك البيض ، ويعود كل ثعبان من تلك الثعابين إلى المكان الذي خرجت منه أمه ، بهدايةٍ من الله سبحانه وتعالى ، يقطع آلاف الأميال في المحيطات وفي البحار حتى يعود إلى المكان الذي جاءت منه أمه ، مَن الذي هداه ؟! إنه الله سبحانه وتعالى.

وهذا حيوان من الحيوانات إذا أراد أن تضع أمهاته البيض تموت بعد البيض مباشرةً ، فإذا بها تأتي إلى قطع الخشب وتحفر فيه حفرةً مستطيلة ، ثم تجعل في تلك الحفرة من الخشب بعض الأطعمة من الأوراق السكرية ،

---

(١) طه : ٤٩ - ٥٠ .

(٢) الأعلى : ١ — ٣ .

وبعض طلع الأشجار ، وتكبسه في ذلك المكان ، ثم تضع بجـــواره بيـــضةً واحدة ، ثم تغلق عليه بغطاءٍ ، ثم تموت بعد أن تضع بيضتين وثلاثاً وأربعاً ، ثم يخرج هذا الحيوان الصغير من تلك البيضة ، ويعيش على هذا الطعام سنةً كاملة ، وهو يتغذى عليه، فمن الذي علَّم هذه ؟! ومن الذي هـــداها لأن تجمع طعاماً لسنة ؟! وكيف كفى السنة ؟! إنه الله تبارك وتعالى.

ومن الذي علَّم الجراد الذي يمكث في شقوقه في بعض الأمـــاكن ســـبع عشرة سنة متتابعة متتالية، ويظهر بعد مرور سبع عشرة سنة في وقته المحدَّد ، وفي يومه المحدَّد، وفي تاريخه المحدَّد ، يظهر بمئات الملايين ، فمن الذي عَرَّفه وعلَّمه موعده وتاريخه ؟! إنه الله سبحانه وتعالى ، هو الذي هَـــدَاه { قَدَّرَ فَهَدَىٰ } .

وهناك أيضاً : الحيوانات المنوية التي تخرج من الذكر ، وكيـــف تُلقـــح بويضة الأنثى بطريقة فيها الهداية العجيبة ، تخرج الملايين الملايين ولا تتلقح من هذه الملايين إلا واحدة ، هي التي حملت الصفات الوراثية للأب وللأم ، يختارها الله ويهديها الله سبحانه وتعالى ، فتنقسم انقسامات متتالية متتابعـــة عظيمة وكبيرة جداً ، حتى يتطور هذا الإنسان من طورٍ إلى طورٍ ، علقـــة فمضغة فعظام ، { فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا }[1]، فإذا به إنسان كاملُ الخلـــق جميل المنظر !! من الذي هداه ؟! إنه الله سبحانه وتعالى.

---

(١) المؤمنون : ١٤ .

جاء عالم أمريكي يريد أن يُفرِّخ بيضَ الدجاجة بالأجهزة الحديثة فقال له أحد الفلاحين: عليك أن تقلب البيض بين كل فترة وأخرى، قال: ولماذا ؟! قال : لأني رأيت الدجاج تفعل ذلك. قال: الدجاجة تفعل ذلك حتى تجعل مستوى الحرارة في كل مكان من أماكنها وجوانبها ، أما أنا فأضع الجهاز ، وهو يضبط الحرارة من كل جوانبها. فوضع الجهاز ، ووضع البيض ، وجاء وقت التفقيس و لم تفقس البيضة، وكرر مرةً ثانية وثالثة و لم تفقس البيضة ، فلما استمع إلى نصيحة الفلاح ، أو بالأحرى إلى تقليد الدجاجة، وقلَّب البيض ، فإذا بها تفقس ، فمن الذي هدى الدجاجة إلى أن تقلب البيض ؟! فلولا هذا التقليب الذي يتوازن ، وتتوازن فيه الكائنات والمكونات التي خلقها الله في هذه البيضة ، لولا هذا التقليب لما فقست تلك البيضة ، فمن الذي هدى الدجاجة ؟! إنه الله سبحانه وتعالى. وهو الذي هدى الطيور ، وهو الذي هدى الأسماك.

فهذه الهداية هي هداية عامة ، وهي هداية الله سبحانه وتعالى الخلقَ لما فيه صلاحهم ومعاشهم.

وأما الهداية الخاصة : فهي الهداية إلى الحق ، إلى الدين ، إلى الإسلام والإيمان ، وهي بيد الله U أيضاً ، لا يشاركه فيها أحدٌ ، قال U : { قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ }[1]، وقال U لنبيه e : { قُلْ إِنَّنِي

(١) يونس : ٣٥ .

هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا } [1] وقال U لحبيبه محمد e : { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ } [2] .

وقال U: { مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ } [3].

وقال تعالى: { قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ } [4].

وقال سبحانه : { وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ } [5] .

وقال تعالى: { فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ } [6] .

فهذه الهداية بيد الله U وحده ، وهنا نقف وقفةً مهمةً ، وهي أن المراد بهذه الآيات : { فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ } يعني بعلمه ؛ كما قال U: { وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ } [7] فهذا علم الله U ؛ كما يقول المدرس في فصله : أن هذا الطالب الفلاني راسب في مادته ودرسه ، فهل نقول : أن هذا المدرس يعلم الغيب ، فإذا جاء الامتحان ورسب الطالب نقول : المدرس يعلم الغيب !! لا ولكن

---

(١) الأنعام : ١٦١ .

(٢) القصص : ٥٦ .

(٣) الأعراف : ١٧٨ .

(٤) البقرة : ١٤٢ .

(٥) الحج : ٥٤ .

(٦) إبراهيم : ٤ .

(٧) الأنفال : ٢٣ .

المدرس بخبرته وبمعرفته بهذا الطالب أنه لا يذاكر ولا يجتهد ودائم اللعب ... إلخ قال: إنه لن ينجح. فهذا ليس علماً بالغيب، وإنما خبرةٌ ودراية. ولله المثل الأعلى ؛ فالله U هو الذي خلق الخلق ، وهو أخبرُ بهم سبحانه وتعالى ، بل هو بكل شيء محيط، يعرف حديث الإنسان مع نفسه ، يعرف ماضيه ، ويعرف مستقبله ، ويعرف ماذا سيكون حاله ، فالله U علم أن فلاناً من الناس سيكون من أهل الشقاوة والعياذ بالله U ، فقال: هو شقيٌ ـــ بعلمه سبحانه وتعالى ـــ ، وذاك الذي سلك طريق الهداية ، قال الله U : إنه من أهل الهداية أيضاً بعلمه سبحانه ، لأن الله يعلم أنه سيسلك طريق الهداية.

فعلى المسلم أن يطلب هذه الهداية من الله تبارك وتعالى .

من أسباب الهداية :

ما هي الصفات التي تؤهلنا لنكون من المهتدين ؟

قبل أن يقول الواحد لأخيه : ادع الله لي بالهداية ؛ أولاً عليه أن يسلك طريق المهتدين ، فما هي الصفات التي تجعلنا من المهتدين ؟

أول هذه الصفات: الإيمان بالله تبارك وتعالى ، أن تُصدِّق تصديقاً جازماً ليس فيه شك بوجود الله U وأنه هو الخالق الرازق أنه هو المبدع ، وأن تؤمن بكل أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى ، وأن تعبده حق عبادته قال U : { وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ }[1]، وقال تعالى: { إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

(١) التغابن : ١١ .

ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ }[1] فبقدر معرفتك بالله ، بقدر ما تكون الهداية في قلبك .

ومن هذه الصفات أيضاً: المجاهدة للنفس ، أولاً: بترك المحرمات ، ولا يمكن أن تترك المعصية هكذا بسهولة ، ولكن لابد من التعب والجهد والمشقة حتى تصرف نفسك الأمَّارة بالسوء عن تلك المعاصي ، وكذلك لابُدَّ من المجاهدة حتى تُطِيعَ الله U وتؤدِّي الفرائض ، هل يظن إنسان أنه إذا جاء إلى المسجد أن هذا لا يحتاج إلى مجاهدة ، بلى يحتاج إلى مجاهدة ، يحتاج إلى بعد عن المغريات ، يحتاج إلى قوة إيمانية حتى يخرج ويترك الدنيا ، ويأتي إلى بيت الله U ، فيصلي بين يدي الله تبارك وتعالى ، قال U: { وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ }[2] أما أن لا تتعب ولا تجاهد ولا تبذل وتطلب من الله أن يهديك !!، فليس ذلك بطريق صحيح للهداية أبداً، بل عليك إذا أردت الهداية أن تسلك طريقها ، وتجاهد نفسك في ترك المحرمات، وفي فعل الطاعات، حتى يهديك الله تبارك وتعالى.

ومن الصفات التي تقودك إلى الهداية: الصبر واليقين ، قال U: { وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ }[3] لما جمعوا بين الصبر واليقين أكرمهم الله U بالهداية ، أكرمهم بأن جعلهم هادين مهديين ، فإذا أردت طريق الهداية فعليك بالصبر ، وعدم الجزع ،

---

(١) يونس : ٩ .

(٢) العنكبوت : ٦٩ .

(٣) السجدة : ٢٤ .

وعدم السخط مما أصابك من مصيبةٍ أو من بليةٍ ، أو من أمـــرٍ صـــعبٍ لا تتحمله نفسك ، عليك بالصبر ، فهذا الصبر يكون سبباً لهداية الله U لك إن شاء الله.

ومنها أيضاً: الاعتصام بحبل الله U ، قال تعالى: { وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }[1] تعتصم ؛ تتمسك وتثبـــت في المحافظـــة علـــى الصلوات والطاعات والعبادات.

ومنها أيضاً: طاعة الرسول ﷺ واتباع سنته واتباع هديه ، قـــال U : { قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۚ }[2].

ومنها: خـــشية الله U ، قـــال U: { فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }[3] .

فهذه بعض الصفات ، إن اتصف بها المسلم ، وجاهد واجتهد فيها، وفَّقَه الله U واختاره لهذه الهداية ، لأن الهداية اختيار واصطفاء واجتباء مـــن الله تبارك وتعالى ، والثبات عليها أصعب منها ، ولذلك كان النبي عليه الصلاة والسلام يُكثر أن يقول: (**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**)[4].

---

(١) آل عمران : ١٠١ .

(٢) النور : ٥٤ .

(٣) البقرة : ١٥٠ .

(٤) رواه الترمذي (٢١٤١) وقال : حديث حسن صحيح .

ومن ابتعد عن هدى الله فقد اقترب من الهوى ، والفرق بين الهوى والهدى حرف واحد !!.

قال U : { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ }[1] بمعنى: من سلك طريق هدى الله تبارك وتعالى فقد ابتعد عن الهوى ، ومن ابتعد عن الهدى فقد وقع في الهوى ، والعياذ بالله U .

المحرومون من الهداية :

أما الذي حرمه الله تبارك وتعالى من الهداية والعياذ بالله U ، فهو من اتصف بصفاتٍ منها :

الكفر ــ والعياذ بالله U ــ ؛ قال تبارك وتعالى : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ }[2].

ومنها : الظلم ؛ قال U : { وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }[3]، لا يمكن أن يسلك إنسانٌ ظالمٌ طريقَ الهداية ، ويهديه الله تعالى طالما أنه مستمرٌ على ظلمه متمسكٌ به ؛ وقال U : { إِنَّ الَّذِينَ

---

(١) القصص : ٥٠ .

(٢) المائدة : ٦٧ .

(٣) المائدة : ٥١ .

كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا } [1].

ومنها: الفسق ؛ والفسق هو الخروج عن طاعة الله، وارتكاب المحرمات، قال U: { وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ } [2] فمن كان مبتلى بذلك فعليه أولاً : أن يُخلِّصَ نفسه من هذا الفسق ، ثم يُقبل على ربه تبارك وتعالى حتى يهديه U .

ومنها: الخيانة ؛ قال U : { وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ } [3].

ومنها : الكذب ؛ قال تعالى : { إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ } [4].

ومنها: الإسراف؛ قال U : { إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ } [5] مسرف على نفسه بارتكاب الذنوب والمعاصي والعياذ بالله U .

فكل هؤلاء حرمهم الله تبارك وتعالى من الهداية ، ومن لم يهتد في الدنيا إلى صراط الله المستقيم ، فلن يهديه الله U يوم القيامة إلى الصراط الذي

---

(١) النساء : ١٦٨ – ١٦٩ .

(٢) المائدة : ١٠٨ .

(٣) يوسف : ٥٢ .

(٤) الزمر : ٣ .

(٥) غافر : ٢٨ .

يقوده إلى الجنة ، لأن صراط الله المستقيم مضروب على جهـــنم ، وهـــو الطريق إلى الجنة ، فمن سلك طريق الله المستقيم في هذه الحياة الدنيا ، فإنه علامة بإذن الله على أنه سيسلك الصراط المستقيم إلى الجنة ، وإلى رضوان الله تبارك وتعالى .

المقصود بـــ " **الصراط المستقيم** " :

قال إمام المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله : (أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً ، على أنَّ الصراط المستقيم هو الطريق الواضـــح الـــذي لا اعوجاج فيه) [(١)].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله : (اختلفت عبـــارات المفـــسرين مـــن السلف والخلف في تفسير الصراط ، وإن كان يرجع حاصـــلها إلى شـــيءٍ واحد ، وهو المتابعة لله وللرسول e ، فروي :

١- أنه كتاب الله : جاء ذلك عن علي مرفوعاً وموقوفاً، والموقوف أشبه.

٢- وقيل : إنه الإسلام ؛ جاء ذلك عن ابن عباس وابن مسعود وجابر .

٣- وقيل : إنه الحق ؛ وجاء ذلك عن مجاهد .

٤- وقيل : إنه النبي e وصاحباه من بعده ؛ وجاء ذلك عن أبي العالية، ووافقه الحسن) [(٢)] .

---

(١) " تفسير الطبري " (١/ ١٧٠) .

(٢) " تفسير ابن كثير " (١ : ١٦٠ - ١٦٢) بتصرف .